

شعيرة طازجة

رنا جعفر ياسين

الكتاب : شهية طازجة (قصص قصيرة)

المؤلف : رنا جعفر ياسين

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٠٩

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٢٠٦٨١

الترقيم الدولي : 8 - 005 - 493 - 977 - 978 - I.S.B.N

الناشر

شمس للنشر والتوزيع

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة

ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤ (٠٠٢)- ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥/٦٤ (٠٠٢)

www.shams-group.net

لوحة الغلاف : رنا جعفر ياسين

تصميم الغلاف : محمود ناجيه

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل

أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت

إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

شعيرة طازجة

قص قصيرة

الطبعة
الثانية

رنا جعفر ياسين



إليّ..

وأنا أتقنُ توديعَ آخرِ أُنْزاني

منتصرةً لشهوةِ الحياةِ

رنا

بوصلة للصراخ . . بوصلة للصدى

ثمة صراخٌ

وثمة صدى

وعلى مقربةٍ منهما،

تنمو فوهةٌ تبتلعُ البشرَ في سكونٍ .

كابوس اللحم القاتم .. أو مزاج الدم

الحلم ذاته.. وأنا في حالة صحو قسرية.

أطفأتُ اليومَ المحشوَ بصراخ صامت؛ في محاولةٍ لمزاولةِ النوم بعيداً عن ضجيجِ الحسرةِ من عدم تحقيق شيءٍ يُذكر.. أو لا يُذكر.
المصباحُ العالقُ في سقفِ الغرفةِ كانَ محمراً كعادته.. يرسمُ على جبين السقفِ المنقُصِ على وجهي لحظةَ مفارقةِ الصحو أشكالاً من النقوش والدوائر.. هي نفسها الموجودة على الغطاءِ القماش المحيط به، والذي عمدتُ إلى إحضاره معي من بغداد.. مندساً بين أكداس الثياب؛ ليزينَ السقفَ؛ محيطاً بهذا المصباح الناطق فيما بعد.
ولكن...

كلما حاولتُ اقتناصَ لحظةٍ وداعٍ لوازِم ومتطلباتِ يومي المتعبة..
بادرني المعلقون في السقفِ بحوارٍ يتكرر كلَّ يوم.
أراهم معلقين في السقف... هياكلَ عظمية.. جماجم.. أشلاء هياكل
ما زالَ اللحمُ المتعفنُ يغطي بعض مساحتها التي لم يصلها الدود بعد.

الحوارُ ذاته... .

والمشهدُ ذاته... .

.....

.....

...

امراةٌ مزقتها الحرب.. فقدت جنينها بعد أن خذلتها الحياة بموت زوجها وابنتها في انفجارٍ ملغومٍ باللامبررات.. مازالت تحملُ صورةَ أشلاء قتلها: زوجٌ مبعثرٌ، طفلةٌ محترقةٌ، وجنينٌ تعفنَ في رحمٍ سوداء.

رغبتها في لمّ صحون المائدة، وإطفاءِ النار تحتَ قدر الطعام بعد أن ملأه رمادُ الانتظار الطويل ما زالت طرية. تتذكر في كلّ ليلةِ الرياحِ وهي تصطّكُ بالأبواب بعد أن كُسرت أقفالُ البلاد.. فصارت - وفي كلّ ريح - ترتطمُ بأطر الفراغ المدسوسةِ في جدران بيتها الخاوي.

بحسرتها المتزايدة.. تطلبُ من الجيران إغلاق باب بيتها الرئيسي؛ على الأقل؛ علّه يحفظ صورة الموتِ الوحيدة؛ التي مازالت تجمعهم كالمصلوبين على حائط البيت القائم على هشيم الروح.

يعلو صوتُ هذيانها :

- أغلقوا بابَ المذبحة.. أغلقوا بابَ الجحيم.. فمازلنا مصلوبينَ على جذع النخلة في حديقةِ الوهم.. منذُ أن حملتنا الأوطانُ أمانةَ الهزيع المتجدد... ولكننا عائدونَ لا محالة .

يقاطعها الشابُ الغارقُ في موته؛ وأنا استمعُ لهذيانها بانفعالٍ بارد اعتدته كلَّ ليلة :

- سيدتي.. الآتسة التي تستضيفنا في سقفِ غرفةِ نومها تريدُ أن تنام.. لا تقلقيها.. أنا أيضًا أريدُ من خطيبتي أن تبحثَ عن أصابعي التي بعثروها في حديقةِ البيت .

يعلو صوتُ نحيبه المتشنج.. أشعرُ أنا بالتقرز، وبحرارةٍ تتوغلُ في أصابعي.. يكملُ هو كلامه:

- كانوا قتلةَ مناهضينَ للحب.. على الرغم من أن أحدهم كان يلصقُ صورةَ شيطانةٍ على زنادِ بندقيته.. والآخرَ كانَ يمسحُ سكينه بفوطة أمه العائدةِ تَوًّا من الحج..

كانوا كرماءَ معي.. لم يطلُ العذاب .

سكتَ قليلاً.. كمن يكفكفُ الدمعَ والدماءَ.. أكملَ:

- بل أسرعوا في قطع رأسي.

تئنُّ معه بصوتها الشحيح.. السيدةُ العالقةُ قربه.. المعلقةُ كالبندول الخائف مما بعدَ الموت.. تحاولُ مواساته بالآتين.. تعدُّ بالأمان في

غرفة الآتسة.. فلا خوفَ بعدَ الآن... تئنُّ.. وتتحسر.. تبكي...
يقاطعها :

- مازلتُ يا سيدتي أتذكرُ لحظةَ فصلِ الرأسِ عن الجسد.. وأنا
متمسكٌ برعشةِ الروح..
رأيتُ رأسي فوقَ بلاطِ مدخلِ البيت.. وأصابعي تُقَطَّع...
لم أفهم سببَ ذلك.

كانت السكينُ حادةً جداً... قَطَّعوها واحداً تلو الآخر.. كانوا يضحكونَ
والجسدُ يرتعشُ ويلفُظُ الدماء.. وسكنت رجةً موتي بعدَ أن أخذوا
إصبعي الذي فيه خاتمُ الخطوبة..
ربما لم يقصدوا أخذه.. ولكن يبدو أن الخاتمَ كانَ ضيقاً ولم يستطيعوا
نزعه عن إصبعي بسهولة.

سكت، وسكتَ أنينُ السيدة.. فبادرها بالنواح :
- أخذوا رأسي أيضاً.. وأنا صامتٌ.. أتفرجُ على هولِ ضحكهم..
كانوا سعداءَ جداً.. أخذوه إلى صندوقِ السيارة.. وألقوه فوقَ رؤوسِ
أخرى.. الباكي.. والضاحك.. ومن كانَ يموتُ بصمتٍ... كانت ملطخةً
بالدماءِ والوحل والأحلام..
رموها في حاويةٍ للأزبال والجثث..

لم يسعفني الوقت لأوصي خطيبتي بلمّ أصابعي - على الأقل - ففيها
بصماتُ قُبُلها الطويلة.. حينَ كانت تمسكُ بيدي، وثَقْبُلُ أصابعي..
واحدًا واحدًا.. وتقولُ لي:

أحبك

أعشقك

أتنفسك

أذوبُ فيك

تملكني حتى آخر نفس ما حييتُ

لم تجد رأسي.. ولم تجد أصابعي المبعثرة في الحديقة... ربما أكلتها
القطط الآن.

يعلو بكاءهُ الهستيري الممزوج بضحكة مجنونة تستهزأ بالدمار
والموت... والسيدة صامتة.. والجميع صامتون.. والضوء يتأرجحُ
بينَ الخير والشر.. بينَ الحقيقةِ والخيال... بيني وبينَ العالقينَ في
سقفِ الغرفة.

يُقطعُ الصمتُ بصوتهِ :

- جسدي مدفونٌ.. وجمجمتي هنا.. معكم في سقفِ غرفةِ الأنسة.

يحاولُ تقمّصُ الهدوءِ:

- فلندعها تنام.. وليست كلُّ أمانينا قابلةً للتحقيق.

.....

.....

...

صمتوا قليلاً..

تثاقلت أجفاني المتوجسة من بدء الحوار هذا من جديد.
أفزعني صراخ الأطفال المعلقين في الناحية الثانية من السقف يسار
المصباح... إنهم يلعبون بأشلائهم.. ويتذكرون لحظة موتهم...
يلومون بعضهم؛ لماذا قبل والدهم مقابل مبلغ عشرة آلاف دينار أن
يأخذ أولاده الحقيبة الصغيرة ليضعوها في الجزيرة الوسطية لذلك
الشارع المدمي؟.

سمعت منهم أنهم كانوا فقراء.. والدهم حارسُ البستان الذي ماتت
أغلبُ أشجاره بعد انقضاء الحرب جراء دخان المفخخات التي
تمارسُ انفجارها كلَّ يوم تقريباً على الجسر العابر فوق البستان؛
عمودياً على النهر.

في كلِّ أنين متكرر لهم.. كانوا يذكرون الزائرين الغربيين وهما
يكلمان الوالد، ويدسان في يده الورقة النقدية الخضراء ذات العشرة
آلاف روح تزهق.

أقنعا الوالد أن هذا العمل جهادٌ أوصى به الله لإخراج الوافدين على
البلاد.. وأن هذا العمل لن يأخذ سوى دقائق معدودات.

لم يعرفوا أن هذه الدقائق ستصدّرهم قطعاً من اللحم الممزوج بالطين إلى هاويةِ القدر؛ حينَ لوثّوا السياراتِ بالدم واللحم والعظام وهي تقطعُ ذلكَ الجسرَ... ليفاجأ راكبوها بالدويّ من انفجار العبوة، وتطاير أشلاء الأطفال.. كألعابٍ نارية.

ذلكَ الحوار اللائمُ لا يتكرر كثيراً.. ما أسمعُهُ منهم حينَ يلعبون سؤالٌ واحد يتكرر:

- لماذا نحنُ ؟؟؟

يخدعهم صخبُ الوقت والذكريات.. لا يقاطعون الآخرين.. بل يقتنصونَ فرصة صمتهم ليبدأ اللعبَ وتكرار السؤال.

لم تكنَ هياكلهم كاملة.. حولهم تخيمُ هالة رعبٍ وملامحُ ذعر طفولي.

أسمعُ صوتَ ثلاثة أطفال، وأرى في السقفِ عظاماً تائهة.. ثلاثة سيقان.. أربعة أذرع.. عمودين فقيرين.. جمجمة ونصف جمجمة.. كفا مفصولة.. وبقايا لحم تعفنَ بالذكريات التي لا تبرحُ أن تفارقهم عندما كانوا يلعبون ويركضونَ قربَ النخلة المائلة ناحية النهر.

ويتذكرونَ وصية والدهم الأخيرة:

- عودوا بسرعة.. الله معكم.

بدأوا الآن بالبكاء.. أسمعُ طقطقة مفاصل الأشلاء وهم ينتحبون... ويلعبونَ أيضاً..

رأيتُ السقفَ يتمددُ ويستطيلُ أكثر..

هدأوا أكثر..

أغمضتُ عيني..

بدا الهدوءُ غريباً.. طال، لم اعتد ذلكَ

اختلستُ النظرَ، فتحتُ إحدى عينيَّ بعدَ قليل..

يا للهول...

رأيتهم يستقبلونَ زائرينَ جدد؛ لم أميزهم.. كانوا متفحمين.

السقفُ تمددَ أكثر.. الهياكلُ والجماجمُ والأشلاءُ تعلقُ فيه بهامش
الوطن.

كانوا قد جهزوا لهم كلَّ شيء.

أغمضتُ عينيَّ ثانية..

أعرفُ أنَّ صوتَ القادمِ سيكونُ أعلى.. فصراخاتهم لا تغلقُ الجراح..

كما وأن يومَ غدٍ سيكونُ حتماً مفخخاً بالمفاجآتِ والفجائع.

سمعتهم يقولونَ للقادمين:

أهلاً وسهلاً بكم في سقفِ غرفةِ الأنسة.

وضعتُ الوسادةَ على أذني

لكنني شعرتُ قبلها أن المصباحَ المحمرَ يقطرُ الآنَ دمًا، اتسعت

دوائره لتملأَ السقفَ بالأسئلة...

لكنني سأحاولُ على الرغم من ذلكَ اقترافَ النوم.

جدارية

لم تكنْ لأشعةِ الشمسِ المفتولةِ وهي تعربدُ على سكونِ تلكِ الظهيرةِ
الصاخبةِ القبطِ انعكاسٌ ملحوظٌ عليه؛ متقوقعٌ في ارتكازهِ على ركامِ
حائطِ بليٍّ من الخنوعِ؛ يسندُ عليهِ أوهامه؛ وربما آلامه؛ غيرَ مدركٍ
لما يدورُ حوله... يعبثُ بما في يدهِ من نفاياتٍ.

هو الطاعونُ الذي بدا واضحاً على مخيلتهِ المتشعبةِ في الغيابِ
والذبولِ، يطررُ محيّاہ برغمِ ضراوةِ عينيهِ في التحديقِ إلى ما بينَ
يديهِ من نفاياتٍ.

تفاعلهُ الفيزيائي بانَ جلياً من هستيريةِ يدهِ في طردِ الذبابِ عن
وجههِ المتسخِ، يطردهِ بيدٍ، وبالأخرى يعبثُ بقاذوراتهِ بعد أن يلمّها
من الأتزالِ والأشياءِ المرميةِ قربَ الحاوياتِ، أو قربَ بيوتِ في
شوارعَ تكتظُّ اليومَ بالأتزالِ - بدلَ النباتاتِ - وهذه مفارقةٌ أخرى.

وحيثَ يكونُ في مأمنٍ من الذبابِ تراهُ يتفحصُ ما يمسكهُ بفرحِ كمن
يمسكُ محارةً يبحثُ فيها عن لؤلؤةِ نفيسةٍ، وعلى يمينهِ قنينةٌ ماءٍ

كان قد حَزَّها بأسنانه فاصلاً عنها عنقها، فبدت كقذح كبير "مشرشب"
الحواف يملؤه الوسخ... إلى جانبه كيسٌ مجعدٌ أسود اللون.

هكذا كان دوماً يثيرُ السؤالَ بذهوله وشروده الممتزجين...

يجيءُ إلى مجهول يلوذُ إليه في الصباح من تشرده المسائي غيرَ
قاصدٍ الوصولِ إلى اللاشيء، خارجاً عن ميقاتية الزمان واستراتيجية
المكان كفنارٍ تصفرُّ فيه الرياحُ وتعوي، يقبعُ في البحر دونَ أن يعومَ
على موجةٍ أو يهزّه ارتجاجُ الأسماكِ الوليدة.

كان الظهرُ رغمَ فظاظته هو وقتُ لعبِ أفكاره في فضاءٍ مشحونٍ
بسخونةِ الجو تارةً، وبتلاشي وجوده طوراً، فهو يحاكي مجهولاً؛ لا
يدركُ كنهه وماهيته إلا هو.. وحينَ يعودُ - مضطراً - إلى حضوره
الآدمي، لا ينفكُ يأكلُ ويأكلُ ويأكلُ؛ كمن يجترُّ بقايا الإنسانية في خضم
حربٍ تلتهمُ الشعوبَ وتوارى في غيابٍ مقيمٍ في معدته المتقيحة،
ينزاحُ بينَ فينةٍ وفينةٍ عن ركودِ ذاته في قعرِ الوحدةِ الموغلِ في
الحلقةِ إلى مجالسةِ كلابِ الشارعِ وهي تفتشُ الأرضَ قرْبَهُ بجموح
الباحثة عن سَكينةٍ أو مأوى تلوذُ به من تسيبها.

والفضولُ يأكلني عن ماهيةِ هذا الجوالِ المتشردِ ليلاً تحت الجسور،
أو قربَ المقابر، أو على أعتابِ كراجاتِ السكراب... وهو على هذا
الحال منذُ شتاءاتٍ مريرة.

.....

.....

...

في أحدِ النهاراتِ الطويلةِ الأمد... كان هناك شيءٌ لا يشبهُ سابقاتِ
هذا النهار..

كانَ جالسًا متكورًا؛ ساكنًا وهادئًا، كأنه في حلمٍ لذيذٍ يعانقُ الشمسَ أو
يضاجع القمرَ.

لكنه بدا غريبًا.. ملتدًا بغيبابه.

اقتربتُ منه..

كانَ الذبابُ يدورُ حوله.. على شفثيه وأذنيه وعلى عينيه المغلقتين.
أمسكتُ كتفه، فمالَ جانبًا وسقطَ على الأرض، فانسكبتُ فتيحةً الماءِ
الأسن حوله...

إنه ميت.

بسرعةٍ تلقفتُ ذلكَ الكيسَ علَّه يدلّني على هويةٍ مجهولي، أو أي
عنوانٍ يوصلني لمن يطفئوا ظمأَ السكينةِ في روحهِ الثكلي.

لم أعرَ على دالةٍ سوى "جدراية" محمود درويش، وشريطُ تسجيلٍ
مقطوعَ كتبٍ عليه (مديحُ الظلِّ العالي)، وصورةُ امرأةٍ جميلة، وقطعةُ
خشبٍ باليةٍ كتبَ عليها بخطٍ بائس:

وحدي!

آه يا وحدي!

ولم أقترف الوحدة وحدي وأنا المؤول بالغياب

وحدي ولم أكن الوحيد

وحدي ولم أعتد حضور الحاضرين

وحدي

وحدي وصلت بوحدتي الخرقاء

لأموت وحدي

يا أيها الـ (وحدي) بين الأوحدين

أنا مثلك..

وحدي أجوب بوحدتي

وحدي أشرّد انتظاري

مرة

أخرى

وأخرى

وأخر

وحدى

ويا لشقاء وحدى على وحدى

أنفجرُ وحدى

أشظى وحدتى وحدى

لم أكن وحدى لأول مرة أخرى لوحدى

كم طواني غيبكم وأنا المؤولُ بالغيابِ

وأنا من عمر آدم وحدى

و سأظلُ وحدى

وحدى

.....

كانَ هذا كلُّ ما يملكُ مجهولُ الهوية.

صِيَادُ السَّمَكِ

كان الصبى ميّثًا؛ كعادته في كلِّ صباحاتِ التقويم المتأخرة عن الحساب الأرضي بأقلّ من ساعة ضوئية..

وحين يصحو؛ يسحُلُ أذيلَ هزيمته إلى الضفة اليمنى لساق النهر المطوية على أشلاء جزرة صبخة صوبَ مدينة الأحران، فيجلسُ لساعاتٍ تمتدُّ على طول الهزيع، يفكرُ... مبلِّلٌ بالوهم، خاشعٌ من الانتظار اليومي لما لا يجيء دوماً من معطيات رغيِف العيش، فلا يملُّ ولا يكلُّ. مُسرحٌ تأملهُ إلى موجاتِ النهر الساكن وهي تتوالدُ في حلقاتٍ تنتجُ عن اصطدام الأحجار الصغيرة التي يغازلُ بها النهر، بمائه... فيقتلُ بذلك ساعاتِ الانتظار التي يفتعلها لنفسه حين يرمي السنارة إلى داخلِ الماء.. وينتظرُ الأسماك الصغيرة أن تعلقَ بطعمها. وحين يشعرُ بثقل ذراع السنارة بين شدِّ السمكِ وارتخاءه لحظة اليقين بالموت؛ يسحبها من الماء بانتصارٍ مفعمٍ بالحرية، ثم يُحرّرُ السمك من تلك الإبر المعقوفة.. يتأملها للحظة وهي تلبط بين يديه، ثم يقذفها بابتسامةٍ يملؤها الرضا إلى الماء مرةً أخرى...

ويُكرّر ذلك مراتٍ عديدة، إلى أن تتناقل الشمسُ من شروقها على
بقعته الأرضية وتشرعُ بالأنفول.

يعودُ أدراجهُ غيرَ مكترثٍ بالغروبِ المستجدِ من الظلمةِ إلى غرفتهِ
الباردةِ الرطبةِ قربَ شارعِ المتنبي، حاملاً معه أوزارَ تأملهِ، فارغاً
بلا صيدٍ في جردلِ خاو.. يجلسُ في غرفتهِ مطلاً على وجهِ السماءِ
من النافذةِ، يزيغُ ببصره من نجمةٍ لأخرى، ويصطادهنَّ في غبطةٍ
مصطنعةٍ تنمُّ عن حاجةٍ غيرِ مدركةٍ.

ربما كان وهجاً لطفولةٍ منطفئة، أو شبقاً لغدٍ من غيرِ ماضٍ، هو ما
يدفعهُ لأن يمسكَ بالفرائسَ ثم يطلقها ليعودَ ميتاً من رحلةٍ ليليةٍ إلى
صباحٍ يموتُ فيه كلَّ يوم...
مردداً في كلِّ ليلةٍ:

أنا صائدُ الأحلام، لا صياد السمك
ههه...

المومسُ خطيئةٌ بكارُهُ في المساءِ
أما أنا..

فخطيئةُ المساءِ في الصباحِ

.... ثم يغطُّ في موتٍ عميقٍ.

كوابيس صدئة

مثلاً لم يجد البعض تفسيراتٍ مقنعةً لثوراتٍ حصلت - سهواً - ولم تسقط على رؤوس الثائرين.. لم يبرح التاريخ ركنه المذهبِ عنوةً ليخوضَ في مساماته المَعْقَرَة غالباً بالتحريف.. إلا ليرضي غروره المعهودَ في البحثِ عن الحقيقة... والتي غالباً ما تكونُ مكَلَّلةً بفشل ذريعٍ وتمرّسٍ.

كان كلُّ شيءٍ غزيراً:

الشمسُ، القمرُ، المطرُ، الضبابُ، الظلامُ، خيبةُ الأملِ، الموتُ.

في ذلك المساءِ المتعرجِ حملَ التاريخُ حقيبتَهُ المثقوبةَ، والتي تنزُّ دوماً، إلى قاعِ الخلود... بحثاً عن رقعةٍ جديدةٍ تداوي فشله من إيصالِ الحقيقةِ دونَ أن تضيقَ في طريقها إلى عابري السبيل / ممن كانوا يسحلونَ خيبتهم من كذبِ المواريثِ.

كان البردُ حنوئاً أكثرَ مئاً، وألفته تسبغُ طيقاً من الخنوعِ لرغبةِ البشرِ المتطلبين.. لكن التاريخَ، ولأول مرةٍ ربما قرَّرَ الخضوعَ، فأسرفَ في عطاءهِ بتلكِ الرحلةِ للقاعِ البربري، باحثاً عن جدليةِ الصدقِ والكذبِ.

لم تكنُ الطريقُ سالكةً.. بل كانت وعرة، فتعبَ من حملهِ المثقوبِ..
وكانَ كلُّما شعرَ أنَّ شيئاً ثقيلاً سقطَ من ثقبِ صرتهِ عادَ ليجلبهُ...
حتى ملَّ وتضجَّرَ، فتسَيَّ الأمرُ، وصارَ كلُّما أحسَّ أنَّ شيئاً سقطَ؛ يملؤه
شعوراً بالارتياح لأن حملهُ بدأ يخفّ... وبالتالي ستكونُ حركتهُ أسرعَ
للوصول إلى غايتهِ.

وبعدَ رحلتِهِ الطويلةِ؛ أضناه التَّعبُ، وهو مازالَ في بدايةِ الطريقِ..
فتوقَّفَ قليلاً، مُقرِّراً أن يرتاحَ خلفَ صخرةٍ كانت على الطريقِ،
يواصلُ بعدها مسيرتهُ الشاقةَ متوجساً من خفوتِ وهجِ قواه
وحماستهِ المتَّقدة من امتدادِ قارعاتِ الطريقِ على طولِ مسيرتهِ إلى
نقطةٍ بعيدةٍ... قد تكونُ خارجَ الأفقِ، أو تصلُ إلى قلبِ البسيطةِ
... لم يكنُ يدري!!

وحالما حطَّ رحالُهُ الذي خفَّ، سمعَ صوتاً من خلفِ الأشجارِ، ضجةً
عاليةً، وهسهسةً، وحفيفَ الورقِ العايبِ في السَّراءِ والضَّراءِ..
اقتربَ بهدوءٍ دونما إشارةٍ أو صوتٍ يلفتُ من خلالهما إليهِ الانتباهَ..
كانَ هناكَ جمعٌ من الحيواناتِ.. صغيرها وكبيرها، أليفها ووحشيتها..
حتى كأنَّ سفينةَ نوحٍ قد أفرغت حمولها في تلكَ البقعةِ من الأرضِ،
وبأمانٍ - نفتقدُهُ نحنُ الآنَ - توالدوا.. فكثُرَ عددهم وملكوا سطحَ
الأديم الأخضرِ. وعلى المنصةِ أمامهم يقفُ مسخٌ قبيحٌ بنصفِ عينِ،

ورأسه مجعدّ بلا شعر حليق أو أشعث، مدبّب الأطراف، واسع الفم؛
كانّ مدينة تستوطنُ فاهه القذر (حتمًا) .. ويعنجهيّة مصطنعة كانّ
يتهيأ لإلقاء كلمة على الحضور:

يا أيّها المتسلقون في الأرض

يا أيّها الجمعُ الحقيّرُ

تحية ننتة

يشرفني اليوم؛ وبكلّ خزيّنا؛ أن نصلي على كلّ من سحقناهم بغدرنا
وخبثنا، فخرّوا ميتين عمداً، أو من غير عمد..

لنقف لحظة تأمل على جرائمنا في القتل والهلاك والدمار
ربما لم يكنّ الحظّ حليفاً دائماً لنا .. ونحن اليوم ننتهك البلاد، ما علينا
إلا أن نحشد السفاحين والخونة والعاهرات والقوادين وبائعي الذمم
برخص الهواء، لمسيرة حقيقية تزفُّ لنا؛ مستقبلاً؛ خبر موت أهل
الأرض ممن تعرّوا من مبادئنا وتمسّكوا بالفضائل، وليعلموا أنّ
الشرف جريمة تحاسبُ عليها شريعتنا الأرضية.

اغتصبوا العذارى ..

فلا حبلى تنوء بسرّها لأب شرعي، ولا غانية إلا وعلقت خطيئتها
على مقصلةٍ قدرية صماء... فما علينا إلا الاتكالُ على غرائزنا لفضّ
بكارّة الوهم المسمى (شرقا).

اقتلعوا قلوبَ العاشقينَ ..

مرَّغوها بالنجيع، واغدقوا الكرمَ النبيلَ على من خانوا فضائلهم
وشيّعوا مواكبَ العشقِ الوئيدِ بلا أضحيةٍ للعيدِ حتى، أو اعتنقوا
وإياهم بقايا من ملذاتِ شهواتٍ وتدنيس... فلا فرقَ بينَ غادرٍ أو
عاشقٍ إلا بقبح فعله... والقبحُ في الأعمالِ مثقالٌ لميزانٍ يقيّمكم، ولا
جناحَ عليكم في غوايتهم.. وهو المراد.
وما عليكم إلا الطاعة.. وإلا فإنّا لكم بالمرصاد.

ويتمّوا الأطفالَ في المهودِ وهم عراة..
ليضيّعوا ويشمئزّوا من أمانيتهم، فتسكبونَ من مآقيهم دمعًا غزيرًا
يبيلُّ اليباسَ في صدور الأمهات..
إنه الجوعُ المعتقُ لحنان الأبوة.. فاسلبوها حاملينَ الوزرَ عنهم
لشقاءٍ مستديم.

وشردوا الأمومة..
باقتطاع رؤوس من ولّدوا لعمر قدّروه بلا حسابٍ أو كتابٍ، فالأمُ تكلّى
دونَ وليدها، والعمرُ فان في الغياب.

وفي الختام.. أناديكم:
يا أيّتها القردة... نطّوا واقفزوا من رأسٍ لآخر.
يا أيّتها الخنازيرُ... بيعوا البغايا والمحصّات.

يا أَيَّتْهَا الْأَسْوَدُ... التَّهْمُوا الْخُرَافَ.
وَأَنْتُمْ يَا قَطْطُ... كُلَّمَا قَدَرْتُمْ خَرِبْشُوا.
يا أَيَّتْهَا الْكِلَابُ... تَخَلَّصُوا مِنَ الْوَفَاءِ، إِيَّاكُمْ وَالْإِحْتِفَازَ بِهِ.. فَحِيَا زَنْتَهُ
تَبَرَّرُ اعْتِقَالَكُمْ فِي غَوَانَتَانَامُو.
يا أَيَّتْهَا الْخُفَافِيشُ... التَّصْقِي عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ تَمَكَّنْتَ مِنْ تَشْوِيهِهَا
فَفَعَّلِي الْفَرْجَ.
يا أَيَّتْهَا النِّعَامَةُ... ادْفِنِي رَأْسَكَ أَكْثَرَ فِي التُّرَابِ.
يا وَحِيدَ الْقَرْنِ... هَيَّا نَفْسَكَ لِقُرُونٍ أُخْرَى سَتَنْمُو قَرِيبًا.
وَأَخِيرًا... مَنْ كَانَ حِمَارًا فَلْيَكُنْ وَحْشِيًّا.
وَدَمْتُمْ لِلْخُرَابِ.

ارْتَفَعَ صَوْتُ التَّصْفِيقِ عَالِيًّا، وَنَزَلَ الْمَسْحُ عَنِ الْمَنْصَةِ مُخْتَرِقًا
جَمَاهِيرَ الْحَيَوَانَاتِ الْغَفِيرَةِ وَهِيَ تَصْفُقُ لِعَدَالَتِهِ الْأَرْضِيَّةِ، وَمَشَى
مُتَجَهًّا صَوْبَهُ بِابْتِسَامَةٍ خَبِيثَةٍ
... كَيْفَ رَأَاهُ ؟!

رَبْمَا لِأَنَّهُ التَّارِيخُ الْأَوْحَدُ... جَاءَ بِكِبْرِيَاءِهِ خَجَلًا، لِيَحْضُرَ بَيْنَ
الْحَيَوَانَاتِ.

وَحِينَ وَصَلَ الْمَسْحُ عِنْدَهُ؛ تَوَقَّفَ، وَأَعْطَاهُ الْوَرَقَةَ الَّتِي فِيهَا الْخُطَابُ،
وَضَحَكَ بِسُخْرِيَّةٍ، تَارِكًا إِيَّاهُ فِي ذَهُولٍ وَتَعَجُّبٍ.

.....

.....

...

متكوراً ، يجلسُ على سريرهِ الملكي المحكم مثلَ قنفذٍ أرعبتهُ يدُ
البشر...
يفكرُ...

هل كانَ ذلكَ كابوساً؟؟... أم أن صحوةَ السريعِ جدّاً، والمرتبك، قد
ضاعفَ من حدّةِ الرؤيةِ الرباعية... كانَ حلمًا؟... ربما!!
فلم يكنْ من عادةِ التاريخ أن يزحزحَ مؤخرتهُ المتكلّسةَ عن عرشهِ
إلا إلى سريرهِ، كما وإنه ليسَ بهذا الكرم ليبرِحَ ملكوتهُ ويخوضَ في
أعماقِ مظلمةِ صنعها البشرُ بماهيتهم المتأرجحةِ دومًا بينَ الخير
والشر...

(والحديثُ بيننا ، هي أقربُ للشرِّ منها إلى الخير).

وليسَ ثمةَ خوفٍ من صدقِ الرؤيةِ، ولا إشكاليةٍ في عدمِ تحقيقها.
لكنهُ مازالَ متكوراً، مرتجعاً، وربما حتى مصاباً بالإسهال..
.... تاريخُ يرتجفُ ؟!!

يفكرُ...

يفكرُ...

وهو مضطرب... هل التَّخمة هي السببُ في ثقلِ الحلم؟

.....

.....

...

بعدَ الغداءِ كتبَ في مفكرتهِ الشخصيةِ..

عشتار:

لم أعدُ إلهةَ الحبِ

يا أيتها الحروبُ

كلكامش:

لم أعدُ أبحثُ عن الخلودِ ولا عن أنكدوا

بل أبحثُ عن دواءِ السكرى

أنخيدو - أنا :

لم أعدُ كاهنةَ الشتات

أنا بائعةُ الخبزِ

سرجون :

لم أعدُ ملكاً لأور

بل صرتُ حوزياً في أسطبلِ

سميراميس:

لا أَطِيرُ الحمامَ بعدَ الأَمسِ

بل أَصطادُ القنابلَ

حمورابي:

خذوا مسئتي

خذوا التاريخ

وأعطوني حياة أمتي

القائد الأخير:

خذوا أمتي

وأعطوني ثمن البترول

التاريخ

... / .. /

الساعة الخامسة والعشرون... تمامًا

طريقٌ.. لِرِصاصةٍ

يمشي على أكداًس أوراق الشجر المتعجرفة بيباسها المستديم وهي
تملاً فجوات الرصيف المُعبّد منذ عشرات الفصول، غيرَ أبه بالعثرات
والحشرات الهاربة من خطى الأقدام غير الرحيمة، إلى أخايد
الأسمنت المصخرج.

... في يده كتبٌ.

كأنّه يفكرُ بالكتابة فينتزعُ من الغمام براعاً ندباً، ويشرعُ في التدوين
على أوراق الهواء متجهاً إلى سقر الجنان الأبدية خارج نطاق
التغطية الكونية...

ربما هناك سيمتدُّ على مساحته الحقيقية الوارفة، فلن يبالي عندها
بالخسائر والحماقات، فليس ثمة هاجسٌ متورّد يستطيع من خلاله
البوح بأسرار وجوده العدمي ليصل إلى حقيقة كينونته في هذا
المطلق كخشبة تتعفن وتأكلها الأرضة.

- "فرات"...

ناداهُ صوتٌ متقرّنٌ، متلهفٌ يجري خلفه ليصله - دونما اختراق
فيزيائي أو كيميائي - وهذا كان واضحاً من طريقة جريه نحوه
التفت إلى مصدر الصوت متعجباً :

- من أين تعرفني؟! ... أنا لست.....

- لا أرجوك.. لا تخف.. أنا أعرفك.. فأنت "فرات".

- أآآآآ... من أين للفرات أين يروي وقد جفت مآقيه؟.. أنا.. لا
أعرف حتى من أنا؟..... أنا.....

- لا تخف يا صاحبي... أنت اليوم من أهل البلاد.. لم يعد هناك
خوفاً، أنت عراقي.. فلا تخف.

لم يكن يفكر في محادثة الغريب.. فالتفت، وهمّ بالمشي.

- أرجوك توقف.. لنا حديث.. كنّا نقرأ كتبك في الخفاء، وأنت في
المنفى...

- آه.. كنت مضطهداً في بلدي وتركته منذ طاعون ونيّف، وقد
تفشّرت صورته في مخيلتي مئات المرات... والمنفى كان.....
آآآ.. كان أزيزُ الرعدِ خارقاً لأديم العقول القابعة تحت فروات
الرؤوس، فلا نكاد نستذكرُ الحلم المطري في أرضنا حتى نغرق في
كابوس اللا عودة.. هنا حيثُ المدينة قد خذلها أهلها فولّينا إلى

مرافئِ العدمِ الغربية.. نهمٌ بالنهوضِ إلى ثورتنا الداخلية، فنخمدُ
بسيلٍ من الأسئلة.

- لا.. أرجوك، الغربية حتى هنا كانت تلوتنا بالانزياح إلى وجودٍ ليسَ
له حقُ الاختيار، فلم نزل نرُحُ تحتَ وطأة العيش حتى نكتشف أننا
قد متنا في اليوم ألفَ ميتةٍ.

- هناك كنا نفكرُ بالأطفال... الله !!

طفولة تنسكبُ كسيلٍ من الحمم على تاريخٍ يلحقُ بواكيرِ الالذثار
ليصلا سويًا إلى هاويةٍ شائخةٍ مهترئةٍ دونما تحقيقٍ للأمانِ ولا
حتى.. موتٍ مُشرَّفٍ.

- أرجوك.. اليوم.. ومن هنا، سنفتحُ بوابةَ صدئت في الماضي، و...
- لا يا صديقي، فالملوكُ يستلونُ سيوفهم من غمدِ بشريتنا،
ويشحدونَ رغباتهم بأمانينا، فلا نلبثُ أن نتحولَ إلى رمادٍ في منفضةٍ
فاخرةٍ تتلاءمُ ورغباتنا الفقاعية في مصيرٍ أخيرٍ يستقرُ في حاويةٍ
أزبال، أو ربما في حفرةٍ لركامنا البشرية.. فنحنُ الشعراءُ ولدنا
لُجْنًا، والملوكُ ليقتلوا، وهذه هي دورة الموت..

هههه.. فللفلولاذِ بريقٌ لا يكادُ يخطفُ الأبصارَ حتى يصدأ في وهم
الحقيقة، وهكذا أبقى دومًا غريبًا ومنفيًا وميتًا.

وكمن يُعَجِّلُ في إنهاء الحوار:

- هذا المكان هو التاريخ.. ففيه حقيقة لم تتمرَّغ إلى الآن في وهم البلاد الجديدة.. لذا علينا أن نرحل دون أن نعرف هذه الحقيقة.
- أرجوك... توقف.

استدار نحوه وهو على بعد خطوتين: يا صديقي انتظرنى، ربما ستمرُّ الرصاصة من خلفي بأمان...

توارى بين الدويّ وزخات الرصاص، ولم يُعثَر له على موتٍ جديدٍ.

قملة

القملة التي في رأسه كانت تفكرُ:

- أنا مثلُ أبرةٍ في كومةٍ شعرٍ

فمن أين لي براءة اختراعٍ لقتل النمل؟

وظلّت تسرّحُ وتمرّحُ، تصولُ وتجولُ.. تصطدمُ مرةً بخصل شعرٍ
أبيض، وأخرى بشعيراتٍ سود، لا تلبثُ أن تقعَ في حفرٍ وتجاويف
أحدثها النملُ في فروةِ الرأسِ الباردة... لتعاود مرةً أخرى الصعود
متسلقةً أكداسِ النملِ الهائلةِ التي كانت لا تعرفُ غيرَ الأكلِ وتعفين
الأديم.

ظلامٌ..

ورطوبةٌ تتزايدُ بتزايدِ رائحةِ هضمِ المتفَسِّخِ...

داخت بحثًا عن اللامخرج..

تعثرت... سقطت في أخدودٍ عميق، حاولت التشبثَ بالجدران... كان
كلُّ شيءٍ لزجًا لكنه يساعدُ على الانزلاق.

هوت إلى المنحدر الذي كان مملوءًا بسائل نتن... أوه، إنه فيح دبق.

حاولت الخروج..

أرادت أن تتملص من برائن النتانة الدبقة.. لم تفلح..

غرقت قرب شظية غائرة في فجّ استطال على جبين سلخه التراب

والعفن.

لم تستطع أن تفكر...

ففكرت أنا عنها:

- إنها عطايا الحرب والنمل.

انكسار الشمس

(كفانا صراخاً... كلُّ المتاريس ترتجُّ من لواعج الصدور المُثخنة
بالانتظار ودخان السكاثر)

دائماً ، كانَ يردّدُ ذلكَ مع نفسه ليتحلى بحكمته المعهودة

.....

.....

...

ذاتَ صباح ، حينَ كانَ يرتشفُ قهوته الصباحية.. ترتجّ في مخيلته
طيفُ العجوز التي كانت كلَّ يومٍ وقتَ الغروب تحفرُ خطواتها المحنية
على إسفلتِ الشارع مثلما حفرَ القدرُ آلامه على تضاريس وجهها
المُعبّر.

تخرجُ في الصباح من بيتها القابع وراءَ السدّة القديمة، جارةَ حمول
جسدها الضئيل... لتلقي بقواها الخائرة في أحدِ البيوت، تنظفُ، أو
تغسلُ الملابس..

وعند الظهيرة تجلسُ على رصيفٍ منزوٍ بانعطافه عن أشعة الشمس حتى لا تلدغ أديمها المهترئ، وقد كان معها دوماً (كونية)^١ بيضاء مُسخة؛ تحمل عنها أدرانَ أحزانها، ملوثةً بهشهشة عظامها ورخاوة قلبها، تضعُ فيها بقايا الطعام التي يعطيها إياها أصحابُ البيوتِ العامرة بالطمأنينة، وأحياناً ملابسَ قديمة.

كانَ كلما وضعَ لها (المقسوم) في يدها المرتجفة، اختضَّ عنقوانه وهو يسمعها تتممُ بصوتها الشحيح كلماتِ الدعاء... فلا يكادُ ينظرُ في عينيها الغائرتين إلى الماضي حتى يشمئزَّ، مهتاجاً من صنع الحياة بالبشر، مترقباً لحظة لا تنتمي إلى شروطِ المكان اللاذع... حيثُ الكثيرونَ من غير مأوى أو ملاذ.

تذكرُ إنه لم يرها منذَ خمسةِ أيام..

استشّاط حزناً، ورمى بعصيةِ فنجانِ القهوةِ على الأرض... فانكسرَ. ومتحسراً على مصائرَ مجهولة، صرخَ ضارباً رأسه بكفيه كالمجنون: (كفانا انتظاراً.. كلُّ المتاريس ترتجُ من لواعج الصدور المثخنة بالصراخ ودخان السكائر).

^١ : كيس كبير يصنع من القماش أو من خيوط النايلون

ثقب في مسار العائلة

كلُ الأشياءِ تلبسُ أضدادها، حتى الأبُ الذي أعرفهُ.. مسح مؤخرتهُ
بسيول المال (الزخعة) رغم مجاهرتهِ بعدم الاكتراثِ بوسخ الدنانير.

.....

.....

...

في أحد المساءاتِ ذاتِ النكهاتِ الأربع.. نكهةِ الطفولةِ، نكهةِ
الاشتياقِ، نكهةِ الكفافِ، ونكهةِ الموتِ... كانت الأسئلةُ عاريةً، خلعت
عنها رداءَ التبذلِ لتتساقَ في هذيانٍ يبحثُ عن جدوى العائلة...
ارتباطُ يسبحُ في فراغٍ تصهّلُ فيه الرغباتِ، وحرمانٌ كاد يفوقُ ارتباطَ
الهواءِ.. وثيقًا.. بماسٍ يحلمُ دائمًا بالحبِّ.

كانَ الأبُ بلا مأوى يُكفّرُ به عن شواخصِ الألمِ وهي تشبُّ بلا شروط
في هذا الكيانِ المتهالوي نحو سيلٍ من الاستفساراتِ:

- أولادٌ، يكبرونَ في بنوكِ المال؟

- أم أولادٌ يموتونَ في غرفِ البيتِ الكبير؟

في صباح مستشيط.. له وجهٌ استغاثةٌ، بدا الشارعُ غارقاً في صمتٍ
مشبوبٍ برحيل، ربما سيمتدُّ هذه المرة إلى الأبد..

صوت الققط المكفهرّة كان يعلو.. ويعلو.. ليرفع السماء التي بدت
منحنية كأنها تريدُ أن تسقط في جدولٍ من سرابٍ عقيم، تهدلٌ منها
شغافٌ ثقبته الغربان في رحلتها الأخيرة.. فطوّقت بالتمني خيالاتٍ
من لم يمرّوا في الشارع هذا الصباح، الذين كان لهم ارتجالٌ للحضور
في أروقةِ العدم وهي تحارب الوجود، تكابر وتتمطى على سخونةِ
الإسفلت البالي بغية الوصول إلى ذلك البيت الذي صار الآن خاوياً،
ملتاعاً بمخاوفٍ هذه الجلجلة..

يتمدد ويتقلص.. والجدران تدور.

يوذُّ لو يُستحضر الماضي ليملأ الغياب الذي ي صارعُ الاحتفال الذي
أقامه عمُّ يشبه العنكبوتَ لاستقبال أولاد أخيه الكبار.

رجلُ الغياب

المقعدُ يتأرجحُ بينَ إطاري السيارة وهي تمرُّ على مطباتٍ وحفر
الطريق المستقيم المؤدي إلى حديقة (.....).

لم يكن الوصول إلى أرض الخيال ضرباً من ضروب (الواقع)، بل
كانت الرغبة في الخوض في الأقدار (اللاقدرية) هي من دفعتني لأفكرَ
بالجالس قربي، فأختلط صوتُ رذاذِ المطر المتساقطِ على زجاج نافذةِ
الحافلة كالرصاص الغاضبِ مع صوتِ تأملِّه في مركز (اللاشيء)
أمامه..

صامتاً..

هادئاً..

مدوّياً..

جالساً دونما إشارةٍ أو إichاءٍ (حتى وإن كان مؤولاً أو محسوساً)
يؤكدان امتزاجهُ بكيميائية المكان وفيزيائية الزمن.

ارتعبتُ من هدوءِ الصارخِ فثمةَ مدينةٌ تتورُّ كانت تستوطن باحةَ
أفكارهِ المتوجسة، ربما من الولوجِ في دوامةِ الواقعِ الساحقة لِرغباتِ
البشر.. وأصابعهُ تسبِّحُ أوراقَ الزهرةِ في حركةٍ دورانيةٍ قاتمةٍ
تشعركَ أنَّ الكونَ كلُّهُ تكثفٌ في ورقة.. من أينَ له أن ينظرَ من ثقبِ
العالمِ إلى الوراءِ وهو يتجه إلى الأمام؟

فكرتُ أن أسأله.. خوَّفني ارتجالهُ للصمتِ في كلِّ لحظةٍ وقد أدمنَ
العبثَ مع الفراغ، يشتهي لجامَ الأفواهِ ويغطُّ في سَكينةٍ منتشية.
لكن!... أَيْكونُ خائفًا من حتفٍ سريعٍ لا يتيحُ له الوصول؟.. أو ربما
مسلوبَ الإرادةِ غيرَ قادرٍ على تحقيقِ ما يَمكُنُهُ من الوصول؟.. وقد
يكونُ مجبرًا على الوصولِ من غيرِ رغبةٍ؟

حَيَّرني أمرِي وأمره، فهناكَ حاجةٌ وصلت إلى مريئه ولم تجتز ركامَ
العنفوانِ من الخسارةِ المترسِّبةِ في معدته الخاوية من كلِّ شيءٍ، إلا
من الخبزِ المخلوطِ بنشارةِ الحديد... وكانَ صوتي يصرخُ في أعماقي
المشحونة:

- من أنت؟.. لا تنكرُ صرختي... ع... عفواً أعتذر.. أنا أسألك؟

مطبٌ

طريقٌ مستقيمٌ

مطبٌ، مرةً أخرى

(ع ع ع ع ع) توقفت السيارة بسرعةٍ شديدةٍ.

كيسُ نفاياتٍ رابضٌ في وسطِ الشارعِ ونهايتهُ المفقودة بخيطٍ أحمر
تتمايلُ يمينًا وشمالاً من تياراتِ ساخنةٍ بين هواءٍ وإسفلتٍ حميم...
وكانَ قد أَرعبَ السائقَ مثلَ طفلٍ بلا رأسٍ في عنقه شريطٌ متبقّي.

توقفُ السائقِ كانَ مُرعباً للراكبين... ولي، كانَ بدايةَ رحلةٍ...
فحينَ شملتُ من محيطِ الرزّينِ المتعبِ رائحةَ ماضٍ متوحّدٍ مع جراح
وقروحٍ مستلّةٍ من وهمِ الحقيقةِ شرعتُ في عودتي إلى أزلي القريب:
(وأنا أمرُّ على سنيّني

كفراشةٍ على لهبٍ

أتركُ أجنحتي عندَ بوابِ العمرِ)

..... ربما برّرتُ عودتي؟!!

ففي هذا الكونِ الغني بالمسراتِ، العقيم بنا... كنا نلعبُ تارةً، وطوراً
نباركُ العطايا بالدعاءِ.

وفي هذا الصباحِ ملأتني همّةٌ (فقاعية) في أن أبحتُ عن فلسفةٍ
جديدةٍ لماهيّةِ العيش.. كيفَ لنا أن نندسَّ ممتلئينَ بالخرافاتِ في شقٍ
حائطٍ?... أن نحلم وننقّاتِ الخواءِ?... أن نشربَ بعدَ الظمأ قِيحَ
الأسماك؟ أن ننسلَّ من التيه إلى تيه ينهشنا.. ثم نحلقَ في ركنِ هرمٍ
يتفسخُ عندَ الظهيرةِ غيرَ عابئٍ بأجنحتنا المفطورة؟

وجدته فلسفتي..

الكون من حوله ينتفض ويرتعش وهو جالس من دون فعل أو رد فعل.. أسمع صوته ينكّس في قرارة إصراره على اللاشيء غايته، وهناك بقايا من ركام الخدر الطفولي تتسرّب من بين أصابعه وهو يسبح في أوراق الوردة المحتضرة.. وصوت المذياع لا زال يئنّ عنوة بأغنية قديمة يمرّ من خلالها إلى فضاء يلهث خلف اللحظة الآنية.. ووجهه بلا ملامح تتورّ أو تستجد..

في سكون، كميت... يستجد.

وبرغم اندماجه بالعدم.. يتنفس، وأصابعه تسبح.. والمذياع يصدح في تأوّه، لكنه... يصدح، وإن كان مشوشًا.

وبعد تعوّد الراكبين من شرّ الشرور؛ واصلت السيارة جريها إلى المكان المقصود حذيفة (.....) مرة أخرى.

أشياء تنخر رأسي؛ أو رأسه؟.. هل أنت من جاء من الأبدية ليصلح العالم بوردة، وحين عجزت حتى عن إصلاح نافذتك المهشمة قرّرت أن تترك كل شيء وترحل؟.. أم أنت ابن أمّ تكلت في عامها الرابع.. بالتأكيد؟؟ لا.. أنت الرسول.. لا لا.. أنت الرئيس... أوه.. لا.. أنت.....

مطبّ شاسعُ

إشارةً مروريةً حمراءُ

توقفَ السائقُ مرةً أخرى..

امرأةٌ مسنةٌ تعبرُ الشارعَ من منطقةِ العبورِ ممسكةً بحبلِ كلبها
النظيف، وهو يتبعها بكبرياء، والجالسونَ منغمسونَ في الهمس
(وربما اللمس) والخيالاتِ المريضة.

إشارةً خضراءُ

شرعَ السائقُ بالجري بحاففتهِ للوصول بالراكبين إلى مقصدهم (مرة
أخرى).. وخطواتُ الكلبِ الأنيق خلفهم.. تشهدُ
أغنيةً أخرى... عراقيةً
يسبّحُ أوراقَ الوردِ

توقفتِ الأغاني وأعلنَ المذيعُ موعدَ موجزِ الأخبارِ
توترَ في تسبيحه..

أرتبك.. امتلأ الرأسُ بأشجارِ الخرابِ

صرخ: توقفْ.. (نازل).

قام وتركَ الوردِ

... نزل.

الثالثةُ بعدَ منتصفِ الحلم

يكبرها بأشواطٍ من البردِ والحكايات، وهي لم تعتدْ بعدَ عشقِ المسافةِ
بينَ الشتاءِ والصيف، فحولته طوحت النساءَ لاقتناصه فارساً يصلُ
في أحلامهنَّ الشبقة، متلاقياً معهن في مواعيدَ من الدفء الذي كانت
هي أيضاً تنشدهُ.

.....

.....

...

تتقلبُ في فراغها، وتشحذها هواجسُ العزلة، مذكرة إياها بالطفولةِ
المحشورة بين قلبها وخطواتها الباحثة عن الغيبِ النابض به،
فترغمها على أن تنسحب نحوه.

في مسائها الوحيد، المتكرر بالخواء، أدمنت مراجعة أحداثِ اليوم حتى
تنام بعيداً عن انتظار فرح ما، يدسه حلمٌ ملغمٌ، ولكنها، فجأة أدركتهُ
الحدثُ المتمركز في كلِّ شيء.. تشمهُ.. تلمسه.. وتهمسُ في مخيلتهِ
بأنها تعرفُ جيداً ذلكَ الإحساسَ الذي يلعبهُ الآن، فترتدُّ عليها أصداءُ

حوار لم يجمعهما، مرتطمة بصورتَه المتحركة أمامها على مسافة
حزنين ونيف.

تسمعُ صوتهُ، وتتحسسُ خريطةَ جسدهِ المزروعةِ بالآلاتِ والشظايا،
تحدقُ في العينينِ الغائرتين، وتلمسُ الغربةَ التي وحدثهما على بعدِ
أحلامٍ تطولُ بينَ بلادِ اللهِ الضيقة.

رائحةُ جسدهِ تملأُ الغرفةَ المزحومةَ بنحيبِ الوحدة.
تطمئن... ويشرعُ شبابها يداعبُ وشمَ البياضِ على ذاكرةِ حواسِه
الهاربةِ من الهروب.
لم يعرفها..

ولكنها أصرت أن تعرفه.
عشقةُ، وهي التي لم تعتد غفوةَ الشتاءِ في ضجيجِ الربيع، ولم تعتد
تصورَ العدم، بل كانت تؤمنُ بأنَّ العشقَ جسدٌ يتلفُ الهواءَ بحضورِ
صاحب، فجاءَ وأرغمَها ثورةَ البوحِ على نسجِ المنشود:

تفترسني الغيمةُ
الطيرُ الشاهدُ على البؤسِ يخلقُ من جحرِ العدمِ

ينقرُ ذاكرتي

مستوحشًا عتمةَ النارِ

فأصولُ إليك

نتوحدُ أنتَ وأنا

تغمضُ عينيها، تندسُ في أحضان خياله الممددِ قريبا

هامسةً في أنفاسه:

- نمْ معي بجوع.

تسلح قلبها بالطفولة والبياض

أقاربُ شايَ الصباح وأنا أحاولُ التصديقَ بالحرية، ويسقطُ تهمةُ
التورطِ بالموت.

الوقتُ منتفضٌ.. يحاولُ التملصُ من الجنون، وكلما حاولتُ الاقترابَ
من أحداقِ الصبح؛ انتزعتني صرخةُ طفلٍ يبحثُ عن أثداء الغربة.
أحبُ وجبة الإفطار كثيراً.

وما يختلسني منها فقط كابوسُ الطفلة التي تزورني كلما شرعتُ في
النوم قبل منتصف الليل، تهمس في أذني مرتعشة:
- يحلِقُ الموتُ كنسائم عاجية، تحرقُ النبوءة، ملوحة بشبح
الاستغاثة من وفود الكارثة.

ترتجف، وتصرخ:

- من يفرعه صوت الماء؛ يقترح الطمأنينة في فقاعة تشبه الوطن،
ينامُ فيها. كلُّ يأكلُ لحمَ الليل، والظلمة باتت كفناً لمن لا يتقنُ سفكَ
الماء. فليأكل الجميعُ من لحم البلاد، وليغسلوا أقلامهم المذنسة بنا
بصابون النفط... فالكلُّ يحملُ في بصماته النصوعَ من صمتِ القتل.

الأكفانُ ترتقي، وأنا على قيد اللحظة، والمسافة بين الفراش وطاولة
الإفطار تتمدد وتشحنني لألبس الغواية وأمارس السطوة في سكون؛
عنلي أتناسى أن ثمة خرابٌ يوحدُ الوجودَ والعدم.

أذمر مني كلما حاولتُ أن أضيءَ هواءَ النهاراتِ بفلسفةِ الوقت،
وكلما حاولتُ النومَ في حضن الصحو، وكلما حاولت أن أتناساها.

يحترقُ الوقت.

أعاقِر المساء، فما الليل إلا غواية تفتح ذاكرتي على صوت مخاض
مرتقب:

- لم أكن أتقنُ فنَّ الجري في صحراء أحلام الطفولة، لم أكن أعرف
درب الفرع الممتد في منفاي، ولم أكن أعرف بعد الحرب أرصدة
التراب من الجثث. لم أعرف أيضًا لماذا صرت أشتم قلبي كلما
سمعتَه يلهجُ بالفراغ.. ما أتذكره أنني ارتكبت تهمة الرحيل، طويت
شعري وانتفضت كطائر من البياض... أرجوك، اخرجي من صباحي
البارد الذي يشبه الخطيئة، وارحلي صوب النار في جرح جديد.

أنام بعد منتصف الليل.

كبرت .. وفي انتظار شاي بلا طفولة.

شناشيلُ زقاقٍ ما

كظلالٍ وارفةٍ لتراثٍ عتيقٍ مُعقّرٍ بحروبٍ وبقايا فرحٍ مشرّبٍ بخيباتٍ
أملٍ متواليةٍ نوعاً ما، كانت الشناشيلُ تتماوجُ في وحدتها وهي تحدّقُ
في اللحظةِ الآتيةِ الطويلةِ بمثابةِ منظرٍ تتلقّفُ من خلالٍ شغافها صورَ
الحاضرِ عبرَ الماضيِ المليءِ بالذكرياتِ.

.....

.....

...

على منضدتها المزروعةِ بالأوراقِ والأقلامِ وبقايا محبرةٍ شاخِتا، كانَ
هناكَ بصيصٌ من نورٍ يضيءُ ظلامَ التدوينِ بالحبرِ الأسودِ..
تجلسُ كلُّ مساءٍ خاليةٍ من تعنّتِ الذاتِ المكابرةِ، تمسكُ القلمَ بحرارةٍ
تتوهجُ من صدقِ البوحِ على شذراتِ الورقِ الأبيضِ؛ والأسمرِ أحياناً،
تسكبُ كمّاً من خفايا الواقعِ على منضدتها المستديرةِ.. المربعةِ...
المثلثةِ.... لا فرقَ.

صوتٌ

شرحٌ

هتافٌ

تستذكرُ هفواتِ الأقدارِ عندَ منعطفِ البشرية...

حفنةٌ من صداقاتٍ قديمةٍ كانت تتكورُ في بلورةٍ لم تزل إلى اليوم
تتدحرجُ من أولِ الزقاقِ إلى آخره ثم تعودُ، وكما الناقوس تنزاحُ من
طرفٍ إلى آخرٍ عابرةً الهشيمَ إلى هشيمٍ آخرٍ دونما توقفٍ أو تلكأ...
أو حتى عرقلة.

§ المحطة (١)

كانوا أطفالاً صغاراً يلعبونَ (الدعبل^(١))، وكانت هي بعروستها
الصغيرة ذاتِ الفستانِ الوردي ترقبهم عن بعد... أحمد، عبد الله ،
وحسن

ثلاثُ صبية..

وكانت هي البنتُ الوحيدة بنفسِ عمرهم
يتشاكسونَ فيما بينهم، وبيناعةٍ صباهم كانوا يحاولونَ التودّدَ لها
بحجةٍ أو بأخرى.. وحينَ يشتدُّ القيظُ كانوا يهجرونَ الدعبلَ إلى
الجلوسِ تحتَ ظلِّ أحدِ الشناشيلِ القريبةِ دائماً من بيتها... يتبادلونَ
روايةَ البطولاتِ والحكايا.

لم يكن أحمد ابن النجار مترقاً، ولكنه كان أفضل حالاً منهم..
كان يمتلك دراجة هوائية يلعب أحياناً بها، وكم من مرة يسقط نفسه
أمامها كأنه تعثر أو هوى عن ناصية أحلامه.. ليلفت انتباهها.
وتتذكر أنه في مرة سقط، وكانت سقطته قوية جداً، فكسرت ساقه
وبقي غير قادر على اللعب مع أصحابه لثلاثة شهور... وكانت تشعر
بالذنب لحاله المثير للشفقة، وهو ينظر إليها من بعيد، بحسرة...
ويرى أصحابه يلعبون من دونه.

في بعض النهارات الصيفية الطويلة، كان عبد الله يغيب عنهم.. وهو
ابن باع الثلج في المحلة.. تعلقه سمره ناصعة.. تلوح لها من بعيد
لتعرف أنه، عبد الله، جاء.. مسرعاً يبشرها بقدومه... مخترقاً
عزلتها عنهم بمجيئه متحمساً، مبتلاً بوهمه مع ماء النهر الذي يقطر
من ثانيا ملابسه البسيطة.

وفي أحد المرات جاءها يحمل سلحفاة صغيرة وقدمها لها.. فصرخت
في وجهه:

- لا أريدها... ابتعد.. رائحتك زفرة.

ولكنهما رغم هاتين الحادثتين ظلا يتوددان لها.. بعكس حسن الذي
كان منغمساً بتوفير لقمة العيش لوالدته وإخوته الأيتام بعد أن توفي
أبوه نتيجة إصابته بمرض السل.. وكان بالكاد يجد وقتاً يلعب فيه مع
أصحابه بعد عناء العمل وشقاء الخبز.

وكانَ حسنَ أعرجَ، ربما لهذا السبب أيضًا لم يحاول التودّدَ لها..
وبقي بعيدًا عنها.
ولكنها تتذكّرهـم..
أقلّ من مترفٍ
وشبه سقاءٍ
وكادحًا

وظفولتهم تكبرُ مع كهولةِ الفطور في جدران هذا الزقاق المتورم.

§ المحطة (٢)

في المساءاتِ الخاويةِ من الانتظار.. يسقط ظلُّه ويمتدُّ على طول
الزقاق.. إنه "حسن"، يتهدى باسقا في زهو وهو يحملُ أوراقه وكتبه
كمن يتسابقُ مع تهافتِ الزمن على الأدميين.. ليُوصلَ ما بدأه في
المقهى من قراءةِ الكتابِ مع ما تبقى من الليل.. جالسًا بكبريائه
المعهودِ على سطح منزله، تحت ضوءِ عمودٍ يتيم في الزقاق... من
حسنِ حظهِ إنه كانَ قريبًا من منزله.

كانَ نهماً وشرهاً في ابتلاعِ الكتب... كمن ولدَ ليقرأ.

§ المحطة (٣)

ناصعة، بشوشة كأنَّ قَيمرها استعارَ لونها لبهائه..
الصبحُ تفتتحة (سِعدة) بابتسامَةٍ تحملُ في طياتها مشقةَ إطعامِ ستةِ
أطفالٍ وزوجٍ شبهِ مُقعدٍ لتضفي على الزقاقِ بهجةَ أصيلة.. تنبثقُ من
الخشوعِ لأصالةِ الماضي رغمَ قَدَمه.
يمتزجُ كبرياؤها مع جلستها كأَميرةٍ على عرشِ القَيمرِ البهيِّ في
صحونه ذاتِ الحافاتِ الصدئة... وهي تحيي المارةَ بحيويتها.. فتلمعُ
نظراتُ الودِّ، وهي تمتدُّ بينها وبينَ زبائنِها مثلَ موسيقى متقنة

§ المحطة (٤)

يومَ مرضِ العمِ جبار، بائعُ (الفرارات)^(٢) كانَ طاعونًا أوشكَ أن يفتكَ
بالصغار. ولم يكفوا عن السؤالِ عن ذلك العجوزِ المرح.. حتى عادَ
مليئًا بالأمانِ وبالفَرَاراتِ ليرسمَ بشاراتِ الطفولةِ على محيا الأطفالِ
في ذلك الزقاقِ المتصدّع من الهمِّ والقَدَم، مباغتًا رغبةَ القدرِ
الملحميةِ في النيلِ من تراكمِ الفرحِ المتشظي.

§ قبل الوصول

كَانَ مَا تَعَلَّقَ مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ بِهَذَا الذَّهْنِ الْمُهْتَرِءِ أَشْبَهُ بِأَسْطُورَةٍ
تَتَلَاشَى عِنْدَ حَافَاتِ الدَّمِ الْمُضْرَجِ بِصَوْتِ الْمَوْتِ وَهُوَ يَزْحَفُ أَثْمًا غَيْرَ
مِبَالٍ بِأَطْرَافِ الْحِلْمِ الَّتِي تَتَفَتَّتُ كُلَّ صَبَاحٍ عَلَى مَوَاقِبِ الْمَوْتِ وَهِيَ
تَمُرُّ مَسْرَعَةً تَجْرُ مَعَهَا الْمُنْتَظَرِينَ بِلَا اسْتِئْذَانٍ أَوْ وَجَلٍ... لِيَعَاوِدَ
التَّسَلُّلَ فِي الْمَسَاءِ عَلَى نَوَاحِ الْمُبْصَرَاتِ، وَمِنْ تَفَتَّتِ جِرَاحِهِنَّ عَلَى
النَّدْبِ وَاللُّطَمِ.

§ المحطة الأخيرة

بَعْدَ سَنَوَاتٍ وَسَنَوَاتٍ وَسَنَوَاتٍ...

أَحْمَدُ : مَاتَ بِانْفِجَارِ لُغْمٍ، وَعُثِرَ (فَقَطُ) عَلَى سَاقِهِ الْيَمْنَى نَصْفَ
مَحْتَرَقَةٍ.

عَبْدُ اللَّهِ : اغْتِيلَ، فَمَاتَ شَهِيدًا بِحَادِثِ غَدْرِ جَبَانَ.. بِحِجَّةِ عَمَلِهِ مَعَ
جَهَةِ أَجْنِبِيَّةٍ.

سَعِيدَةُ : أُصِيبَتْ بِالْكَنْكَرِينَ.. فَتَعَفَّتْ أَطْرَافَهَا وَمَاتَتْ.

الْعَمَّ جَبَّارُ : صَدَمَتْهُ سَيَّارَةٌ، فَمَاتَ مَشْطُورَ الرَّأْسِ... وَعَصَاهُ عَلَى بَعْدِ
ثَلَاثَةِ أَمْتَارٍ مِنْهُ.

ولم يُعثر على حسن.....

اختفى حسن، ولم يُعثر إلا على ملابسه قرب جرفِ النهر.

في جيب قميصه كان هناك ورقتان مطويتان جفَّ عليهما العرقُ
والدمعُ...

- الورقة الأولى^(٣) :

١. يكفيني ما عندي.
٢. الليلة الثانية بعد الأربعين.
٣. تهويماتٌ من حجر.
٤. طائري الذي في عنقي.
٥. ما لا يشبهُ الأشياء.
٦. المحطاتُ القصية.
٧. متحفُ العدم.
٨. الأسلافُ في مكان
٩. ارتحالاتٌ في ملكوت الصمت.
١٠. الموسوعة العلمية:

العدد ١٢

العدد ٥

العدد ٤

- الورقة الثانية :

لم أكنُ المنفى
لأننى قبلَ أن أُولدَ.

.....

لم أكنُ المنفى
لأولَدَ قبلَ أن أنفى

.....

لم أكنُ المنفى
فأننى قبلَ أن أُولدَ

.....

يا ليتنى المنفى
لأننى قبلَ أن أنفى
..... ولا أولدَ

.....

.....

...

لم يبقَ من الزقاق غيرُ الأتّين.. والآخرينَ في علبهم
المصباحُ مازالَ مضاءً

والشناشيل.....

تنتظر.

* الشناشيل : تركيب معماري خشبي يستخدم في البيوت العراقية القديمة، يشبه "المشربية" المصرية.

- ١ . الدعل : لعبة شعبية عراقية يلعبها الأطفال تشبه لعبة "البلي" في مصر
- ٢ . الفرارة : لعبة شعبية تشبه أذرع الطاحونة.. وتكون ملونة وتصنع يدوياً
- ٣ . العناوين لكتب صدرت عن دار الشؤون الثقافية في العراق.

اللحظة الأولى لمخاض التوت

الثمرَةُ النضرَةُ..

تحتَ جلدها بذرةُ الخطيئةِ.

وحيثما ينقرُّ أديمها طائرٌ ما

تباحُ الذكرياتُ كصورٍ رقميةٍ.

حربٌ فاجرة

لطالما أنهكتهُ الحروب

الخطابُ الذي يحتضرُ على لسان القائدِ بأنَّ ثمةَ هزائمَ يتكبدها العدو،
يرعبهُ كغثيانٍ مُداهمٍ.. وصوته المعربدُ كالفأر وهو يعلنُ أن لا نصرَ
ينجو من جبروتِ ذلكَ الجيشِ المعْتَقِ.. صارَ مثارَ تقزز.

طالت هدنة الطائراتِ وهي تقصفُ وجهَ البسيطة... القتلى، والأشلاءُ
المتطايرة في أروقة الغياب التي يسIRON فيها كلُّ صباح قاصدين
المدرسة.

اليوم، والحربُ التي تهضم أولادَ النساءِ ما زلت في أوجها، قرراً أن
يُخرسَ صوتَ المذيع، فـدسَ في فم السماءِ حفنة أوراق امتحاناته
التي خضَّبَتها الأرقامُ الحمراء..

سكتَ الصوتُ.. ونزلَ القائدُ من فوق سطح بيته ببنطاله المبلول
ينتهكُ أمَّ الصبي التي ما زالت تلفظُ أنفاسها من سنين.

شيخوخة^{١٩} معاقة

لا شكَّ بأنَّ المتاهة التي أُرعبته ما زالت تتكوَّر .
وما زال يدركُ أنَّ العنادَ مصيرُ من لا يؤمنُ بأنَّ الربيعَ يأتي في كلِّ
عامٍ مرةً كربعِ كأسٍ فارغة .
النساءُ اللواتي دلَّسنَّهُ؛ الآنَ هنَّ في أحضانِ رجالٍ مجلودينَ بالخيانة .
كلُّ شيءٍ مازالَ طريقاً كالدمِ البائت .
هناك في آخرِ زاويةٍ من مجلسه - وقد طالَ فيه الخواءُ - ثمة خريفٌ
يحصدُ الهواءَ ويعبئه في قنَّانٍ ليُرضعَ الأطفالَ الخطيئة ..
المتاهة التي أُرعبته ما زالت تتكوَّر، لكنه الآنَ في زاويةٍ أخرى يهتِكُ
النوافذ .. فيدخلُ القحطُ ويُعلنُ هو الاستسلام .

ضياع ملوث

ما أحنَ المساءَ، والمرأة المحنطة تجلسُ على رصيفِ الملذاتِ المحيطِ بملهى ليلي، تجالسها قطتها المعتادة على صمتٍ ونومٍ، يتبادلان الأدوارَ كالصباح والمساء.

وجهها الفارغ يشبهُ فوهة مدفعٍ قديمٍ.. التعبيرُ نفسه.. الوجعُ نفسه.. والجوعُ أيضًا نفسه.. تأكلُ ما يكرمها المارة، تشاركها القطّة ذلكَ المقسوم، فيأكلان معًا، وينامان معًا.

لم تحلمْ، ولم تخضعْ لقشعريرة خيالها، فهي معتادة على مزاولَةِ الصمتِ وإكساء نفسها بنظراتٍ مُقنَّعةٍ بالتعجب.

وكلما سطعت الحياة حولها، وأيقظتها من النوم؛ يتسعُ البؤسُ، وتنمو الصدمة من خوفٍ ملحٍ يشاطرها أنفاسها، ومن سؤالٍ قاتلٍ يتلبسُ نظراتها.

وعندما حانَ الضوءُ؛ تحجرت القسوة، وانبرى العالمُ خلفَ هذيانٍ محزونٍ.. فالعدمُ الآنَ يعيشُ نقاوةً في مجون الرصيف.. ويقاسمُ الموتَ بينَ صديقين.

فراغها المُقَنَّع

في غرفتها طاحنةُ الدموع.. السقفُ يعلقُ جماجمَ أحلامها المشنوقة
بالهزائم.. نافذتها تبصرُ الله.. والسماءُ فيها ثقبٌ هائلٌ يسربُّ
الدعاء.

حزنها العابرُ الكونَ كانَ مُضِجًا حينَ ترتدي الثيابَ، وحينَ تتزينُ
لللقاءِ لا يثمرُ شيئًا عادةً.

شرودها الطويلُ يذرُعُ الغرفةَ مثلَ فرسٍ جامح... أيامها تعوي كذئبٍ
فارقتهُ الخراف فواجهَ ارتجافه بحفنةٍ كذب.
تمسكُ كتابًا في كلِّ يوم.. تحزنُ أيضًا في كلِّ يوم.

ابتسمت ذاتِ حلمٍ يقظٍ وعدها بإمساكِ خيوطِ الفرح.. جذبتها لتسقط
في هاويةٍ متَّقدة.

البركانُ يتسعُ في فراغها، والغرفةُ تتجمَّرُ فيها رغبةُ الحياةِ التي لم
تشتَهِها بعد.

للباب في جدار عزلتها الملطخ بلهيب الانتظار عقاب يطل على حديقة
أكفانها الملونة، ولاحتضارها الطويل أبواب أوصدها وجع له رائحة
الأسبرين الملوّث بغبار نووي.. كان وجعًا كاسدًا كالملل.
لكنها لحظة عادت من لقائها المثير للسخرية معه، خلعت حذاء
المسافة التي ظلت تطول، ارتدت الوهم ونامت...
أفزعها الجدار وهو ينشق ليلمع ضفدع بقفازين ودفتر شعر.

رائحة مستعارة^{٢٨}

تائهٌ حدّ خشوع الضياع، غارقٌ في رصيف مكتنزة بالخطوات
وارتعاش البشر، تقتنصه الوحدة، فيباغتها بسكون حي، محاوراً الليل
بأسئلة عن المصير والطريق إلى العودة.

هو.. حيث كانت الأقدام في الصباح بانتظار حافلة ما، يحرق فيه
المارة باستنكارٍ وبخجل مصطنع من طفولة يهدمها الفقر في كل
تيه، هادئ رغم خوف مكدس، إذ جالس على حافة من الاتساخ ينشد
البقاء في حماية العن ريثما تسعفه المسافة للوصول حيث يضع
الرأس بأمان لاصطياد حلم لا يتحقق أبداً.

جلوسه يطول، وتمتد الساعة باتجاه منتصف الظلام، أكثر فأكثر،
يتمدد الليل، وتعلو سحنته بصمات النعاس، يتقلص المارة بينما
يطلق صفير بومة جائعة، هو كما هو جالس يباغت الانحناء
والتقوس لعناق النوم، ينتظر نذيراً أو إشارة تغسل عن وجهه رذاذ
حسرة متقرنة.

حادث طويل ، أوجد الفراغ :

دخان يتصاعد من الحلم.

هدأت السيارة على حافة الرصيف.. معلنة نومها فوق لحم طري.

قنبلة

كَانَ كُلَّمَا تَكَلَّمَ، يَتَلَعَثُ بِالدَّخَانِ النَّافِرِ مِنْ حَلْقِهِ... وَكُلَّمَا ضَحَكَ، يَغْصُ
بِالْجِمْرَاتِ النَّابِتَةِ عَلَى لِسَانِهِ.. إِذْ يَحِينُ قُطَافُهَا بِمَلَامَسَتِهَا الْفَرَحَ.
الضَّجَّةُ تَتَمَوَّ..
الشَّظَايَا تَتَكَلَّسُ عَلَى أَعْضَائِهِ.. وَفَمُهُ مَلِيءٌ بِالْمُفَاجَأَاتِ.
وَذَاتَ قَبْلَةٍ صَامِتَةٍ، تَذَكَّرَ إِنَّهُ نَسِيَ بَابَ الصَّدْمَةِ مَفْتُوحًا مِنْذُ مَجَاعَاتِ.
حَاوَلَ أَنْ يَعْتَذِرَ.. فَانْدَلَعَتْ حَرَائِقُ.

هشيم.. له بريق يشبه البلاد

بين مدينتي و(مدينة)ي، يحملني هاجسٌ يتمطى خارجَ الزمن،
سرعانَ ما يتكسرُ دبقًا.. وأنا ما زلتُ في بدايةِ الطريقِ إلى الهاويةِ.
كانت الأفكارُ تؤلمني..

فيتسربُّ التمردُ إلى مفاصلي.. يدفعني لأنْ أشنَّجَ أطرافي السفليةَ
وأقومَ تاركةَ المكانَ وهو يحترقُ بشروءٍ قاتلٍ من تفاصيلِ اللحظاتِ
الطويلةِ... لاسيما وإنها الآن صارت تتقمصُ العهرَ الطافي على
وجهِ الإنسانيةِ الجديدةِ.

استفزتني الخطى المترنحةُ التي دلفت إلى المدينةِ الرخاميةِ المدوّرة؛
حيثُ كنتُ أجلسُ على أحدِ أرصفتها المُتجمهرِ عليه نفورٌ من
القادمين..

ومن حولي كانَ الناسُ في نعاسٍ مظلمٍ يهرولونَ غيرَ مكترثينَ بهذا
الهرجِ المُكتنفِ بدلالةِ الانحدارِ إلى فجِّ الضياعِ وهو يمتدُّ مفترشًا
باحةَ العيشِ دونما استئذانٍ...

أسمعُ حكَّ الأثوابِ بصدأِ الأسوارِ يرسمُ إشاراتِ قلقٍ تستوعبُ خشونةَ الأحلامِ في الأزقةِ.. ينتفضُ مزدحمًا بنحيبِ الأطفالِ.

أرى البيوتَ متناثرةً وتعبةً من ارتطامِ الزمنِ بمركزها المهتوكِ..
أرى الشوارعَ تطوفُ حولَ خرائطٍ من الأسلاكِ تحملُ لوحاتٍ كُتِبَ عليها (ممنوع المرور) أو (توقف.. أمامك نقطة تفتيش).

ملامحُ الصغارِ اصطبغتِ بالعويلِ، والرعبُ الذي اعترى أجسادهم المرتجفةَ حملَ أنفاسهم تقاسيمَ الركودِ تارةً، وطورًا حملَها عاصفة من الغضب... لهم ثأليلُ حرمانِ غرستها تطلعاتٌ تبدو في ظاهرها مشروعة.

في الهواءِ تركضُ خيولٌ..
كانت تفرُّ من لهبِ الصدورِ لتلوذَ بوجوهٍ وجباهٍ محترقةٍ أصلاً من اكتظاظِ الحربِ.

والأشجارُ تدورُ حولَ نفسها بحركةٍ لولبيةٍ كمن يحفرُ مثواه في برزخ من الغضبِ؛ ليحصدَ انفعالاتِ الطيورِ التي لم تزل تهذرُ بزقزقةٍ ناعسةٍ.. ترسمُ ميلادَ الشمسِ في سماءٍ ذائبةٍ.

بحثُ عن الوجوهِ.. عن رائحةِ الأديمِ، تنوهُ من أنفاسي، وتستوطنُ مهرجانَ طفولةٍ تشرّدت في حلقةٍ صرعتها شهيةُ الوجودِ..

بحثتُ عن شكل الخطي.. لئلا أتوهمُ الخذلانَ ملامحَ يكسرُها شعاعُ
الشمس في انعطافه الجديد... فيشرقُ في توهمي هذا الحضيضُ
كأنه مملكة من ضحايا الانتظار؛ لها من جلالِ الخرابِ شأنٌ كبيرٌ..
رغمَ صورةِ الولادةِ الجديدة.

شعرتُ أنَّ الأرضَ من تحتي ترتجُّ إرتجاجاً مضاعفاً..

الرعبُ يأكلني..

يا الله..

الجميعُ هنا يمشي على أطرافهِ الأربعة.

عبءٌ عليّ ذلك الفراغُ

حملتُ أناملِي المقطوعاتِ لأدقَّ أبوابهم الخجلةَ من ارتجافِ الشَّبَقِ
في مخيلاتهم الملعونةِ بسكينةٍ تحتضرُ بصمتٍ صاخبٍ، كانَ عليهنَّ
مزلاجٌ منخورٌ بالسوس والعفن، ثمةَ جدارٍ يزحزحُ الولةَ بينَ شقوقه
المكلومةِ يعكسُ صورةَ الشمسِ في حدقاتِ أطفالٍ حيارى، أضاعوهم
في لُجَّةِ الأعاصيرِ والنواح. والأبوابُ غطوها بعباءاتٍ نساءٍ شنفوهنَّ
مذ ولدن، سوادهنَّ اغبرَّ وهو ملطَّحٌ بالدمع والدماء.

أدقُّ البابَ

وأصابعي تغوصُ في الفراغ

أدقُّ البابَ

وأصابعي تغوصُ في الفراغ

هالاتٌ بلون الليلكِ تدورُ على صفائحِ الهواءِ؛ مثلَ أساورٍ حولَ يدي
المغلولة.. وأصابعي تعزفُ حزنَ الريحِ على قيثارةِ الوجودِ بأكفِّ
النساءِ في القلاع والحصون والقبائلِ العربيةِ.

لا عجب أن يكونَ خلفَ البابِ كواسرٌ، لهم زرودٌ من عاج أو شمع حتى، أو ربما يحملونَ القاذفاتِ أو الـ(R B G).. وقد يكونَ هناك قلوبٌ أقتلَعها القتلةُ مصلوبةً على بيارقِ الحربِ، أو مدسوسةً في جُبَّةِ الهزيمة تسمعُ صوتَ الأطفالِ وهم يلعبونَ بالعظامِ والجماجم.. ويتامى يولولونَ كلما اشتدَّ البردُ على محاجرهم الفارغةِ من لحظةِ تصوّرِ الغدِ بلا اجتراحِ لكوامنِ الفرح أو تمنّيٍ لشهوةِ الوصول..

قربَ شباكٍ وحيدٍ عشعشت عليه الغربانُ منذُ أن ارتطمت أسوارُ بغداد بشيحِ الحرية... كانَ هناكِ نسوةٌ تُكلنَ بالاستعبادِ، يحكنَ من جدائلهنَّ أساطيرَ عجيبةٍ تغتصبُ الفتنةَ من دربِ تأويلِ رموزِ الاستلابِ والسجونِ والبغاءِ... عجائبُ يَشْفُ لها السمعُ حدَّ التلاشي، فلا تكادُ ترتطمُ بالجدارِ حتى تتلاشى مرتدةً إلى الخواءِ. وسرعانَ ما تتكثَّلُ الصدوعُ في الجدرانِ والجباهِ. وسرعانَ ما يصرخونَ...

لم يكنْ رأسُهُ ثَقِيلاً
حدَّ أنه

تأوَّة من الصاعقة
بوحٍ علقَ في مؤخرةِ لسانه
زجاجُ النافذةِ، عندما تكسَّرَ

استقرَ في جيبه

عند أقرب نقطة للقلب

لم يجدوه في ثلاجة الموتى.

.....

.....

في الداخل، قرب الباب الذي كنت أدقّه من الخارج.. عرفتُ أنّ

هناك ساقا مقطوعة تستقرُ في الزاوية اليسرى القريبة من الفراغ.

الفراغ بدأ يتسع، ملعونًا بظنون تُحرفُ وهم اللاوجود

رجالٌ مثل النساء

نساءً مثل الخرائب

أطفالٌ مشوهون بالصدید

مديدٌ من أنين عارٍ، مصطبغٌ بالخلج، تدرجٌ نحوي مربكاً نيّتي

بالولوج إلى ما بعد الفراغ... الذي صار الآن أكثرُ اتساعاً.

آه ...

كانَ النقشُ على الهواء أصعبُ ما تعلمتهُ في تلك الظهيرة.

رؤية

القتامة والضيقُ هاجسها المتلازمان مع إشراقة الشمس، ذكرياتها الطافحة من فرط السمِّ المندس بين الوعي واللاوعي تنذرُ بقيامة جوع يتجدر.

لم تنسَ المكاملة الطويلة الأمد، صوتُ والدها الهارب من التعلق بها مازال يتأرجح بين الخطيئة والغفران، يذكرها بالموت.. الحقيقة التي واجهتها ذات ليلة وأخطأتها، لتطلقها نحو غياهب المجهول، غيرَ مبالية بنقاوة طفولتها التي لطمتها الحرب.

كانت - وبلا منازع - امرأة من صمتٍ يجوّفه حزنٌ شاخصٌ ونضير. وكلما قررت الدفاع، تقطعُ الخطوات فتقطعها العائلة بالاتهامات والتكتم.. فلا تقوى على نسيان أعباء الطريق.

وذاث كابوس مُلغز:

(كانت السماء موشحة بالدماء، القريبة الشمطاء بنعجتها وابنها البغل كانوا واقفين قرب الشجرة المتفحمة المحشوة في جلد الأرض المغطاة بقيح ممزوج بالنقود، يضحكون عليها وهي مصلوبة على

عمود الكهرباء المنحني عند باب بيتهم المشروخ، والكلاب تتهافت
وتتهافت لنهش لحمها الطري... في آخر المشهد تسمّر رجالٌ ونساءٌ
برؤوس محفورة تشبه علب السردين المثقوبة.. وفي منتصف
المسافة كان ثمة فمّ جشع يلتهم زهرة ميتة).

لم تفهم...

ولكنها تذكرت حكمة الأب الذي إذا جاع أكل لحم أولاده الصغار.





رنا جعفر ياسين

§ إعلامية، وشاعرة، وتشكيلية.

§ من مواليد بغداد عام ١٩٨٠، وتقيم حالياً في القاهرة.

§ درست في كلية الهندسة المعمارية - جامعة بغداد، ولم تكمل فيها رغم كونها من الطلبة الأوائل بسبب سفرها خارج العراق (بعد تردي الأوضاع الأمنية وتعرضها للخطف في شهر آب عام ٢٠٠٦).

§ عملت كمعدة ومقدمة برامج في قناة الشرقية الفضائية، من ٢٠٠٧ حتى ٢٠٠٩.

§ عملت كمعدة ومقدمة برامج في قناة البغدادية الفضائية عام ٢٠٠٧. كان لها عمود ثقافي في جريدة اتجاهات الثقافية - في بغداد - تحت عنوان خربشة الحبر الوردي، ٢٠٠٦.

§ عملت في وزارة الثقافة العراقية (مجلة دجلة)، ٢٠٠٥.

§ عملت في منظمة أصدقاء الصحة العراقية - المكتب الإعلامي، ٢٠٠٤.

§ عملت في جريدة الجريدة في بغداد، كمحررة في قسم التحقيقات، من ٢٠٠٣ وحتى نهاية ٢٠٠٤.

§ شاركت في العديد من المهرجانات والأمسيات الثقافية داخل وخارج العراق.

- § نُشر لها العديد من المقالات والدراسات والنصوص في العديد من الصحف والمجلات والمواقع الثقافية الإلكترونية ، مثل جريدة الزمان ، الغد الأردنية ، القبس ، الشرق الأوسط ، الراية القطرية .
- § فنانة تشكيلية لها العديد من المعارض والمشاركات داخل وخارج العراق (التشكيل بمادة الحديد).
- § تجهز الآن لإقامة معرض جديد وبمواد جديدة (كولاج) تحت عنوان (حربموت.. ثم الخروج من غيبوبة الدم).
- § استخدمت أعمالها التشكيلية كأغلفة لعدد من الكتب والمؤلفات.
- § شاركت في العديد من المعارض التشكيلية داخل وخارج العراق، وكان لها تجربة في معرض (خلف الأبواب الموصدة) في فرنسا عام ٢٠٠٤ وكان على هيئة عرض شامل للتشكيل والشعر والموسيقى.
- § رئيسة (ملتقى الشباب للإبداع) / (سابقاً).
- § عضو في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
- § عضو في نادي الشعر في بغداد.
- § عضو مؤسس في جماعة أفكار للفنون التشكيلية.
- § عضو مؤسس في حركة المرأة العراقية المعاصرة.
- § ناشطة في مجال حقوق المرأة والشباب.

§ الجوائز والتكريم :

- حصلت على جائزة الشارقة للإبداع العربي في المسرح عن مسرحية (إبادة مستعارة)، عام ٢٠٠٩
- حصلت على جائزة نازك الملائكة في الشعر والتي نظمها الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق عن قصيدة (الحرب تنهض من موتها)، عام ٢٠٠٨.
- حصلت على قلادة العنقاء الذهبية في مهرجان العنقاء الذهبية الدولي للرحال لخصوصية تجربتها الشعرية ، ٢٠٠٨

§ الإصدارات :

- طفولة تبكي على حجر : مجموعة شعرية، صادرة عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ٢٠٠٦.
- مسامير في ذاكرة : مجموعة شعرية، دار المحروسة، القاهرة ٢٠٠٧.
- مقصلة بلون جدائي : مجموعة شعرية، دار سنابل للكتاب، القاهرة ٢٠٠٨.
- المدهون بما لا نعرف : نصوص ولوحات، دار سنابل للكتاب، القاهرة ٢٠٠٨
- إبادة مستعارة : المسرحية الفائزة بجائزة الشارقة للإبداع العربي ، عن دائرة الثقافة والفنون بالشارقة ، ٢٠٠٩
- شهية طازجة : مجموعة قصصية ، شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠٠٩

§ يصدر لها قريبًا :

- نكهة الكون : مشروع يتضمن تجريب معاصر في الأدب والفن التشكيلي، معتمدًا على التجربة الذاتية.

§ البريد الإلكتروني: ranagallery@yahoo.com



شمس للنشر والإعلام

رؤية جريدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، وما بين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ العربي، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على نشرها وإبرازها.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجاهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
 - إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.
 - الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية في العديد من الدول.
 - توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.
 - إعادة نشر التراث المعرفي العربي ذي الإفادة في عصرنا، وتحقيقه وتدقيقه.
- ويرتكز عمل المؤسسة على منهج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له؛ في النهاية؛ مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004/5 - (+2) 0188890065

n

- § إهداء ٥
- § بوصلة للصراخ.. بوصلة للصدى
١. كابوس اللحم القاتم.. أو مزاج الدم ١١
٢. جدارية ٢١
٣. صياد السمك ٢٧
٤. كوابيس صدئة ٢٩
٥. طريق لرصاصة ٣٧
٦. قملة ٤١
٧. انكسار الشمس ٤٣
٨. ثقب في مسار العائلة ٤٥
٩. رجل الغياب ٤٧
١٠. الثالثة بعد منتصف الحلم ٥٣
١١. تسلح قلبها بالطفولة والبياض ٥٧
١٢. شنشيل زقاق ما ٥٩

§ اللحظة الأولى لمخاض التوت

١. حرب فاجرة ٧٣
٢. شيخوخة معاصرة ٧٥
٣. ضياع ملوث ٧٧
٤. فراغها المقنع ٧٩
٥. رائحة مستعارة ٨١
٦. قنبلة ٨٣
٧. هشيمٌ.. له بريقٌ يُشبه البلاد ٨٥
٨. عبءٌ عليّ ذلك الفراغ ٨٩
٩. رؤية ٩٣

§ المؤلفة في سطور ٩٦

§ شمس للنشر والإعلام ١٠٠

§ فهرس ١٠٢



(+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤
www.shams-group.net